

## تركيا الأردوغانية باتت أكثر تعصبا وأقل تسامحا

قمع ممنهج للأقلية المسيحية معنويا وماديا

ينظر على نطاق واسع إلى إصرار الرئيس التركي رجب طيب أردوغان على طمس المعالم التاريخية للأقلية المسيحية في تركيا على أنه جزء من أجندة سياسية داخلية لا تخلو من مطامع خارجية. ويرى مراقبون في استعداد أردوغان للعالم المسيحي رغبة في تقويض مبادئ تركيا العلمانية وهي أحد أبرز الأهداف غير المعلنة.

أنقرة - يعكس استخدام الرموز العثمانية للغزو في كل من مراسم إعادة تحويل متحف آيا صوفيا وافتتاح جامع كامليكا في إسطنبول، مثلا حيا على تصميم الرئيس التركي رجب طيب أردوغان على تعزيز طموحاته العثمانية الجديدة، بما في ذلك تفكيك إرث مصطفئ كمال أتاتورك العلماني والمزيد من العداء للأقلية المسيحية في تركيا.

## تأكيد التفوق الإسلامي

ربما كان "الفتح الثاني لإسطنبول" آخر إنجاز لأردوغان لكنه لم يكن بأي حال من الأحوال محاولته الوحيدة والأخيرة لتفكيك إرث أتاتورك العلماني وإعادة تأكيد تفوق الإسلام على المسيحية. وعلى سبيل المثال، بعد مفاوضات مطولة حول إعادة افتتاح مدرسة هالكي للروم الأرثوذكس خارج إسطنبول (التي كانت مغلقة منذ أوائل السبعينات) باعتبارها المدرسة المسيحية الوحيدة العاملة في تركيا، أعلن رئيس مديرية الشؤون الدينية أن مركزا للدراسات الإسلامية يمتد على مساحة مئتي فدان سيفتتح على بعد أقل من ميل واحد من المدرسة الأرثوذكسية السابقة.

ويرى محللون في ذلك عملا متعمدا موجها من الدولة لإعاقة قدرة المسيحيين في البلاد على تجديد وتنمية جيل المستقبل من رجال الدين، وإلى نية واضحة لترهيب ممارسي الإرث المسيحي المتضائل بهدف الخضوع والصمت في نهاية المطاف.

وقد تجلّى هذا الهدف بشكل أكبر من خلال ترحيل (في 2020-2018) أكثر من خمسين قسيسا مسيحيا أجنيا (معظمهم متزوجون من مواطنين أتراك) بحجة أنهم يشكلون تهديدا للأمن القومي التركي. ومع عدم وجود وزراء خارجية مسيحيين وعدم وجود مدرسة دينية محلية عاملة، يظل مستقبل رجال الدين في تركيا غير مؤكد. قد يتمكن المسيحيون ذوو الموارد المالية من الدراسة في الخارج، لكن الصعوبات المتزايدة التي يواجهها المواطنون الأتراك للحصول على تأشيرات للدراسة في الولايات المتحدة أو الدول الغربية الأخرى تجعل إمكانية الدراسة في الخارج صعبة للغاية.

وفي عمل مماثل للتأكيد الديني، في عام 2019 قررت الحكومة تحويل متحف كاريي، المعروف سابقا بكنيسة القديس المخلص في خورا، من متحف إلى مسجد، مما يعني أن الفيسيفساء واللوحات الجدارية التي يبلغ عمرها 1500 عام، تعتبر من بين أهم القطع الأثرية

التي تغطيها. يجب إما تغطيتها وإما على الأرجح تليسهها للسماح بالخدمات الإسلامية داخل المبنى. وتقول الباحثة أن كريستين هوف إن استهداف هذه الكنيسة بعينها له علاقة كبيرة بالموضوعات المسيحية الموضحة في الفيسيفساء واللوحات الجدارية.

وتظهر غرفة مخصصة لأسلاف المسيح 39 شخصية من آدم إلى أبناء يعقوب الاثني عشر وتصور شفاء الأعشى في أريحا، معجزة الماء تحولت إلى خمر، ولادة مريم، ويوسف يتلقى العصا كخاطب ناجح لمريم، والرسول بطرس مع مفاتيح مملكة السماء في يده، ومريم تتلقى الخبر من رئيس الملائكة جبرائيل، وهيرودس يستفسر من الحاخامات عن المكان الذي سيولد فيه الطفل يسوع. وفي بلد يكون فيه الحصول على الكتاب المقدس خطرا، ينظر إلى السرد المصور لقصة الكتاب المقدس المسيحية عبر اللوحات الجدارية للكنيسة والفيسيفساء على أنه خطر واضح وقائم يجب إزالته لتأكيد تفوق الإسلام وقمع الجذور المسيحية للأناضول.

وفي عمل آخر من أعمال التفوق الإسلامي في نفس العام، افتتح أردوغان مسجد كامليكا. ويقع المجمع الذي تبلغ مساحته 150 ألف قدم مربع على تلة على الجانب الآسيوي من مضيق البوسفور في إسطنبول. أربعة من مآذنها الستة الضخمة - التي تمثل المواد الست للعقيدة الإسلامية - تخدم ذكرى انتصار السلاجقة الأتراك على البيزنطيين في معركة ملاذكرد عام

1071 والاستيلاء على إمبراطورهم. ووفقا للتقاليد، بعد اكتشاف هوية الإمبراطور، وضع السلطان حذاءه على رقبة الحاكم المهزوم وأجره على تقبيل الأرض، قبل إجباره على تسليم مدن الأناضول في أنطاكية وإديسا وهيرابوليس ومايكيرت. ويرى العديد من المؤرخين أن هذه الخسارة الإقليمية مهدت الطريق لتترك الأناضول وسقوط القسطنطينية (إسطنبول) في نهاية المطاف.

## التحريض ضد المسيحيين

لم يقتصر التعصب الإسلامي للنظام على الأعمال البارزة للتأكيد الديني بل اتخذ أبعادا دعائية أخرى. وعلى سبيل المثال، المسلسل التلفزيوني الشهير "قيامه أرطغرل"، الذي ظهر على قناة تي.آر.تي التركية الحكومية لمدة خمسة مواسم (2019-2014) ويتم بثه الآن عبر Netflix في جميع أنحاء العالم. ويصور المسلسل الحملة التركية ضد بيزنطة وبطولية نبيلة ضد الغزاة المسيحيين القمعيين وغير الأخلاقيين. ويتم تصوير هؤلاء المسيحيين على أنهم ليس لديهم أي وازع أو قلق بشأن نهب الأراضي التركية ونهب سكانها من أجل إخضاع الأمة التركية.

وعلى مر السنين، روج مكتب أردوغان للمسلسل بالقول والفعل. وفي يوليو 2015، زار أردوغان موقع تصوير "قيامه أرطغرل" ونشر بيانا صحافيا و فيديو للزيارة على الموقع الرئاسي الرسمي. وبعد عامين، عندما سخر مقدم برنامج حوار شهير من المسلسل أثناء استضافته حفل توزيع جوائز تكريما له، تم فصله نهائيا من وظيفته. وتم استخدام وسائل الإعلام الأخرى التي

تسيطر عليها الحكومة أو المرتبطة بها - خاصة بعد الانقلاب الفاشل عام 2016- لتضخيم الرواية حول التهديد المفترض لتركيا من الأعداء الداخليين والخارجيين، مع التصعيد المصاحب للتحريض ضد المسيحيين وخطاب الكراهية. وفي عام 2017، على سبيل المثال، قامت موجة من وسائل الإعلام المحلية في جميع أنحاء البلاد بنشر منشورات وبث لربط الكنائس بالمنظمات الإرهابية أو الدول الأجنبية. وتم الدفاع عن مثل هذه الروايات الإعلامية، على الرغم من شكاوى المسيحيين، من خلال ادعاءات حرية التعبير.

وفي عددها الصادر في مايو 2020، نشرت مجلة "جريس حياة" إصدارا خاصا من 176 صفحة يتهم ثلاثة زعماء دينيين أتراك بارزين غير مسلمين - البطريرك المسكوني للكنيسة الأرثوذكسية الشرقية، والحاخام الأكبر في تركيا، والبطريك الأرمني السابق للقسطنطينية - بتدبير انقلاب 2016 ومحاولة إجراء اتصالات مع حركة رجل الدين المقيم في الولايات المتحدة فتح الله غولن الذي تتهمه السلطات في تركيا بتدبير محاولة الانقلاب.

وبالمثل، نما خطاب أردوغان إلى الإسلاميين بشكل علني ومعاد للمسيحية، مستهزئا بإرث أتاتورك العلماني باعتباره محاولة لاكتساب هوية مسيحية كانت على الشعوب الإسلامية. ومن وجهة نظر أردوغان، امتدت "حملة التنصير" هذه ليس فقط إلى أراضي الجمهورية التركية المنشأة حديثا ولكن أيضا إلى أراضي الإمبراطورية العثمانية. ويتمتع المسيحيون بفرص محدودة للتوظيف في الدولة، ويعانون من التمييز في القطاع الخاص، لاسيما عندما يكون لأصحاب العمل علاقات مع الحكومة. بما أن الانتعاش الديني



## السلطان العثماني الجديد

لا يزال مسجلا على بطاقات الهوية القديمة والشريحة الإلكترونية لبطاقات الهوية الجديدة، فمن السهل التمييز ضد المتقدمين المسيحيين. وشكفت منظمة حقوق الإنسان المسيحية الدولية التي تتخذ من واشنطن مقرا لها، عن زيادة ملحوظة في حوادث انتهاكات الحرية الدينية المبلغ عنها في تركيا مع مطلع العام 2021. وقالت المنظمة في تقرير نشرته على موقعها الإلكتروني إن اللوائح الحكومية تمنع وصول المسيحيين بشكل اعتيادي إلى الكنائس، حيث تعتبر مبانها مصدر دخل من قبل الدولة التي تواصل تحويل بعضها إلى مساجد.

### رجب طيب أردوغان يسعى لتفكيك إرث مصطفئ كمال أتاتورك العلماني وإعادة تأكيد تفوق الإسلام على المسيحية

وقالت كلير إيفانز مديرة المنظمة للشرق الأوسط "لقد لاحظنا تزايد انتهاكات الحرية الدينية في تركيا على مدار سنوات.. وإن التصعيد السريع لهذه الانتهاكات مقلق للغاية، وهي تشير بالتوازي مع تصعيد مماثل في البلدان التي يوجد فيها لتركيا وجود عسكري". ويؤكد محللون أن تدمير تراث تركيا الأرثوذكسي الإسلامي المزوج، كما هو الحال بالنسبة إلى رغبة أردوغان في إعادة تحويل الكنائس إلى مساجد، سيكون ضربة للتعددية الدينية والتسامح في البلاد، فيما نشرت منظمات مثل المعهد الهيليني الأمريكي مرارا وتكرارا حقيقة أن تركيا تمحو تراثها الديني والثقافي من خلال قمع حرية الأقليات الدينية.

شُيدت كاتدرائية آيا صوفيا في عام 537 م من قبل الإمبراطور البيزنطي جستنيان الأول، وكانت ذات أهمية كبيرة للمسيحية الشرقية وحافظت على أهميتها بالنسبة للكنيسة الأرثوذكسية اليونانية حتى الآن. وهذا ما يفسر تحوله السريع إلى مسجد من قبل السلطان الفاتح محمد الثاني باعتباره عملا منمنرا على المسيحية والمعارضة واسعة النطاق في الجمهورية التركية لتحويل المسجد إلى متحف من قبل الأب المؤسس المحدث للمسجد.

وجرت محاولات متكررة منذ فترة طويلة لإعادتها إلى وضعها السابق. وقال رئيس جمعية شباب الأناضول، التي جمعت في عام 2014 خمسة عشر مليوناً من الموقعين على عريضة تدعو إلى ترميم المسجد "آيا صوفيا هي رمز للعالم الإسلامي ورمز غزو إسطنبول، دونها يكون الفتح غير مكتمل وفشلنا في احترام ثقة السلطان محمد".

وانتخبت مجلة "جريس حياة" الإسلامية، المعروفة بارتباطها الوثيق بأردوغان أهمية إعادة تحول آيا صوفيا خطوة كبيرة إلى الأمام. وينشر قصة على الصفحة الأولى في عددها الصادر في يوليو، أشارت إلى أن الوقت

أشارت إلى أن الوقت

